ذلك، وبوجه آخر قد تعني ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ. . .﴾ حكاية حال الماضي أنه تعالى قرر وقدر عليهم نيل الغضب والذلة، وكما نراهما مستمرّين عليهم منذ بداية تأريخهم المنحوس المركوس.

فمن نيل الغضب ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ. . .﴾ إذاً فمن: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ﴾ عنواناً خاصاً لبني إسرائيل، ثم من ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ. . .﴾[1].

ومن ثم سكوت الآيات بحق المرتدين عن هكذا قتل قضية الارتداد، من هذه الزوايا الثلاث نتأكد أنه ليس إلّا حكماً توراتياً يختص ببني إسرائيل، فلا يشمل المسيحيين فضلاً عن المسلمين.

إذاً فـ ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قد تعني مثنى الغضب ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ وسائر الغضب والذلة السائران عليهم طول حياتهم الدنيا، مستمراً إلى يوم القيامة من المجاهدين الأحرار على هؤلاء الأشرار، لا فقط لأنهم عبدوا العجل، بل ولاستمرارهم في كلّ إفساد لحدٍّ يشمل العالم مرتين، وفي خلالهما هم أفسد المفسدين في الأرض، فهم بتخلفاتهم وإفساداتهم الدائمة يختزنون النقمة في قلوب الشعوب، ويهيئون الرصيد الوصيد الذي يدمّرهم - أخيراً - عن بكرتهم.

ذلك، وليست سلطاتهم منذ بدأت واستمرت باحتلال القدس وفلسطين إلّا لغيبوبة المسلمين المحليين وسواهم عن السلاح الوحيد الإسلامي والراية الوحيدة الوطيدة، وهي فترة الغيبوبة بحكم السموم التي بثتها الصهيونية والصليبية العالمية، ولكن سوف تجيء الصحوة من هذه الغفلة والغيبوبة وكما وعد الله في آيات الأسرى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا. . .فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ﴾[2] فراجع.

(١) سورة النساء، الآية: ٦٦.
(٢) سورة الإسراء، الآيات: ٥-٧.

فهؤلاء هم اليهود، المعرقة في عقولهم المخبولة المدخولة، وقلوبهم المقلوبة، فكرة التجسد الرباني، فإن لم يستطيعوا أن يرووا الله بأم أعينهم فليتحولوا إلى ﴿عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ وليؤوّلوا قصة الميعاد عن أصلها إلى معاكس فيه مسّ من كرامة الله - خلافاً للقرآن: وهكذا نراهم يحرفون التوراة حسب المزاعم المادية، كما في (سفر الخروج ٢٤: ٩ - ١٨): «ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا. وقال الرب لموسى اصعد إلى الجبل، وكن هناك فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها. فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى إلى جبل الله. وأما الشيوخ فقال لهم: اجلسوا هاهنا حتى نرجع إليكم. وهو ذا هارون وحور معكم. فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما. فصعد موسى إلى الجبل. فغطى السحاب الجبل. وحل مجد الرب على جبل سيناء وغطاه السحاب ستة أيام - وفي اليوم السابع دعى موسى من وسط الحجاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط الحجاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهاراً وأربعين ليلة».

ثم في الفصل (٢٥) أن «مما كلم الرب موسى أن كلم بني إسرائيل يصنعوا لي مقدساً من ذهب وفضة وكأس واسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود تُخسَ وخشب سنط وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسحة والبخور العَطِر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم، وتصنع غطاء من ذهب.. وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من الكردّ بين للذين على تابوت الشهادة بكلِّ ما أوصيك به إلى بني إسرائيل»!!!.

ذلك، ولئن استضعف بنو إسرائيل خليفة موسى في تغيّبه، فقد استضعف المسلمون خليفة الرسول ﷺ بعد موته وانطبق عليه كما هو: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[1] وكما يُروى عن النبي ﷺ قوله لعلي عليه السلام: يا أخي أنت سيفي بعدي وستلقى من قريش ومن تظاهرهم عليك وظلمهم لك، فإن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم وقاتل من خالفك بمن وافقك، وإن لم تجد أعواناً فاصبر وكفّ يدك ولا تلق بها إلى التهلكة فإنك مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام ولك بهارون أسوة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه فاصبر لظلم قريش وتظاهرهم عليك فإنك بمنزلة هارون ومن تبعه وهم بمنزلة العجل ومن تبعه.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾:

هنا ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ دون «سكت موسى عن الغضب» شاهد صدق على بالغ ذلك الغضب حيث ملك موسى فلم يملكه موسى حتى ألقى الألواح وأخذ برأس أجنة يجره إليه، وذلك لأنه ملكه التوحيد بعد أن ملك هو التوحيد، فلم يستطع أن يتمالك نفسه إذ رأى القوم قد ضلّوا ضلالاً بعيداً، فذلك التعبير العبير يشخص آماد الغضب وأبعاده لحدٍّ يملك موسى رسول الله في الله.

ثم ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ واللام للعهد، تعني نفس الألواح التي ألقاها دون أن تتكسر أو بعضها، ودون أن يرفع بعضها، خلافاً لمختلقات الروايات، وعلى أية حال ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها، ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾ وهي زبرها وخطها ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ هما نفس ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[2] إذ لم يكن

(١) سورة الانشقاق، الآية: ١٩.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٥.

الله ليلغي نسخة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ يلقيها موسى غضباً لله وأسفاً على الإشراك بالله.

﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ فهما واقع ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ حيث هما من أصول الحصائل ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ وأما الذين لربهم لا يرهبون فهما - فقط - دلالة هدى ورحمة دون واقعهما، فهنا واقع بواقع وشأن بشأن، واقع ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ وشأن للذين لا يرهبون ولهم شأن الاهتداء والاسترحام ولكن لا حياة لمن تُنادي.

وهنا ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ دون «يرهبون ربهم» للتأشير إلى واجب حصر الرهبة لربهم فلا يرهبون سواه إلّا فيه، ثم وهم يرهبونه لأنه ربهم لا لطوارئ أخرى مصلحية الحفاظ على ما يعنون.

ذلك، وإلى مشهد جديد في تفصيله هو مديد لمشهد سؤال الرؤية حيث هما واحد:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ۖ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾:

لقد تطلبوا إليه أن يروا الله جهرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وهنا يختار موسى سبعين رجلاً لميقات ربه بعد ما سألوه الرؤية جهرة ولكن خيرته لم تكن خيّرة إذ لم تكن باختيار الله، إذاً فكيف يكون أمر خيرة

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

الأمة الإمر في انتخاب صاحب الأمر بعد الرسول ﷺ؟ كما يُروى عن صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف[١].

وهنا الرجفة ليست إلّا لما اختاره هؤلاء المختارون من اقتراح هارف جارف هو سؤال الرؤية كما في آية البقرة، واللّائح من آية النساء أنه كان قبل اتخاذهم العجل: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾[٢] وهذه المجاهرة في ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾ بعد ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ﴾ كما في البقرة، كانت قريبة الصلة بأمر الوحي المكالمة، أن لن نؤمن لك، أن الله هو الذي كلمك، إلّا أن نرى الله جهرة.

فقد يكون السبعون المختارون المصعقون من ضمن هؤلاء الذين اتخذوا العجل، وكأنه بديل عن رؤية الله جهرة!.

---

(١) نور الثقلين ٢: ٧٦ في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سعد بن عبد الله القمي عن الحجة القائم عليه السلام حديث طويل وفيه: قلت: فأخبرني يا بن مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم؟ قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح، قال: فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت: بلى، قال: فهي العلة وأوردها لك ببرهان ينقاد لك عقلك، ثم قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عزوجل وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالوحي والعصمة وهم أعلام الأمم وأهدى إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنه مؤمن؟ قلت: لا، قال: هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه عزوجل سبعين رجلاً ممن لا يشك في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله عزوجل: ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ﴾ [الأعراف: ١٥٥] إلى قوله: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عزوجل للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد علمنا أن الاختيار لا يجوز إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور وما تكن الضمائر ويتصرف عليه السرائر وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا الصلاح.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ المهلكة إياهم ﴿قَالَ﴾ موسى رب ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَّ﴾ كيلا يحتج عليّ الباقون أنك أهلكتهم بديلاً عن إجابتهم في سؤلهم ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾[1].

وترى السبعين المصعَقين لم يكونوا من السفهاء لئلا يستحقوا الإهلاك؟ وهم السائلون: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾! أم تعني السفاهة هنا عبادة العجل؟ وقد تأخرت عنها حسب آية النساء!.

﴿مِنَّآ﴾ هنا تعني من السبعين المختارين وسائر السائلين، مع موسى عليه السلام، و﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ جمعاً، تدل أن السفاهة هنا حصلت من جمع من الثلاث لا كلهم، فلم يكن سؤال الرؤية إلّا من الجلّ دون الكّل، إذاً ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ وارد مورد السائلين منهم الرؤية أن كيف تهلك غير السفهاء معهم بما هم دونهم ﴿مِّن قَبْلُ﴾ الميعاد وحاضر السؤال فيه.

وهنا ﴿مِّن قَبْلُ﴾ ثم من قبلها «لو» إضافة إلى ﴿مِنَّآ﴾ هي زوايا ثلاث في هندسة القصة تدل على أن القصد ليس هو الإهلاك الواقع، بل هو المستدعي أن يكون ﴿مِّن قَبْلُ﴾ حضور الميعاد، أو ﴿مِّن قَبْلُ﴾ سؤال الرؤية فيه بعد ما سألوه مرة أولى، وهنا «لو» تحيل هذه المشية، ثم ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ متفرع على تلك المشية المستحيلة، فـ ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ تعني السفهاء الذين

(١) بحار الأنوار ١٣: ٢١٧ - ١٠ في أسئلة الزنديق عن الصادق عليه السلام قال: إن الله أمات قوماً خرجوا مع موسى عليه السلام حين توجه إلى الله فقالوا: أرنا الله جهرة فأماتهم الله ثم أحياهم. وفي نور الثقلين ٢: ٧٦ في كتاب التوحيد في باب مجلس الرضا عليه السلام مع أصحاب المقالات والأديان قال عليه السلام: . . ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم وصاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله فأرناه سبحانه كما رأيته فقال لهم: إني لم أره فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ [البقرة: ٥٥] واحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يا رب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وأرجع وحدي فكيف يصدقني قومي بما أخبرتهم به؟
فلو شئت أهلكتهم وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا؟.

يستحقون الإهلاك وهم الذين سألوا الرؤية، دون سائر السفهاء في ذلك الحقل، من الذين سكتوا عن النهي عن المنكر، والذين سألوها نيابة عن الباقين السائلين، ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ جميعاً الشامل لموسى و﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ والذين سكتوا والذين سألوا نيابة ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ وهم السائلون الرؤية، أم والقائلون لما نجوا عن البحر ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[1].

فلو أن هناك عذاباً من ذي قبل لم يكن على سواء بالنسبة للسفهاء، فضلاً عن أن يشمل غيرهم بمن فيهم موسى نفسه.

وكما في قصة السبت ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾[2] فلم ينج التاركون للنهي عن السوء كما الفاعلين للسوء مهما تفارقا في نوعية العذاب، حيث اختص ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3] بالذين صادوا يوم السبت باحتيال، وللذين تركوا النهي عنه دون ذلك.

أجل إن هي: ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الواقعة - أم والمتوقعة بـ«لو» - الشاملة المزمجرة ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ امتحاناً لمن سكت وامتهاناً لمن سفه، وعبرة لمن غاب، وتذكرة لأولي الألباب.

فسماحه سبحانه لذلك السؤال، وأخذهم جميعاً سائلين وسواهم بالرجفة، هذا وذاك فتنة ربانية ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ إضلاله وهو الذي يشاء الضلال ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ هداه وهو الذي يشاء الهدى، وترى كيف حذفت الباء في تهدي؟ علّه لأن الهداية أعم مورداً من مثل هذه الفتنة الصعبة وسواها، وأما الإضلال فهي بصعاب الفتن كما يستحقها أهلوها.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٦٥.

﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ فيما تفتننا ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا سؤالاً وسكوتاً، ﴿وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[١].

ذلك، وقد يتبيّن هنا أن الساكتين هنا - غير السائلين - ما كانوا من الذين عبدوا العجل بعد ذلك، وذلك بأحرى لمن لا يسأل الرؤية الذي هو أخف من عبادة العجل، ألا يعبدوا العجل، فقد كان بين هؤلاء المختارين من سألوا الرؤية وعبدوا العجل، وسواهم الذين لم يسألوا ولم يعبدوا ولكنهم سكتوا عما حصل فوصلهم - إذاً - ما وصل.

وغريب من هؤلاء المجاهيل المغافيل أن يتخذوا العجل بعد سؤال الرؤية وأخذة الرجفة بالصاعقة، كيف لم ينتبهوا فدخلوا فيما هو أفضح من سؤال الرؤية وهو عبادة العجل، ثالوث تصاعدي سجله عليهم تاريخهم المنحوس، إعلانا بعد التوراة في هذه الإذاعة القرآنية كثالوث النصارى فلقد تشابهت قلوبهم المقلوبة في ذلك الانحراف الانجراف السحيق المحيق!.

ذلك، وقد أحياهم الله بعد موتهم بدعائه عليه السلام وكما في آية البقرة: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢] ولكنهم كفروا أكفر مما كفروا بديل أن يشكروا إذ ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[٣].

وذلك البعث بعد الموت برهان لا مردّ له على البعث يوم القيامة الكبرى، والبعث يوم الرجفة وهي القيامة الصغرى، والحياة البرزخية وهي القيامة الوسطى.

وفي رجعة أخرى إلى آية الاختيار أدبياً ومعنوياً، ترى كيف اختارت «اختار» مفعولين اثنين وليس لها إلّا مفعول واحد؟ والحل أن «سبعين» عطف بيان للمفعول وليس مفعولاً ثانياً أو بدلاً.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٥٦.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٣.

ثم ولا يصح أنه ثاني المفعولين اللهم إلّا بدل البعض من الكلّ، أم بدل فإن قضيته أن قومه كانوا - فقط - سبعين رجلاً، وإنما ﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ﴾ والمختارون منهم سبعون كما هو قضية الاختيار.

ولأن عبادة العجل كانت بغياب موسى عليه السلام حين أعجل عن قومه إلى الميقات، وسؤال الرؤية كان قبل اتخاذ العجل، إذاً فهما ميقاتان اثنان لأمرين اثنين أولهما هذا الذي أخذتهم فيه الرجفة، والأخرى ما أعجل موسى فيه عن قومه فعبدوا العجل بعد، وهذا مما يبرر ذكرى كلّ لحاله وعلى حدة، مهما صح فصل قسم من قصة لمناسبة عن قسم آخر تقديماً للمؤخر أو تأخيراً للمقدم، كما تقتضيه المصلحة البلاغية قضية الملابسات المؤاتية، وهنا تأخر المقدم وتقدم المؤخر في العرض، لأن المؤخر كان أخزى وأمرّ!.

ثم ترى ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ اعتراض على الله أنه أهلك غير المستحقين له؟ كلّا! وإنما هو استعلام يبينه ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ أن ذلك الإهلاك فتنة لكلٍّ من هؤلاء الثلاث: السائلين الرؤية، والساكتين عن النهي، والغائبين عن المسرح المنتظرين للنتيجة، فلقد أجاب موسى نفسه عن سؤاله بإجمال، إجمالاً عن التفصيل الذي علّه بين له دوننا، والقول أن «فعل» الظاهر في العمل لا يشمل قول السفهاء، إذاً فهي سفاهة أخرى غير قولة الرؤية، مردود بأن الفعل أعم من العمل، فهو يشمل مثلث فعل اللسان والقلب والأركان سلباً وإيجاباً، وفعل السفهاء هنا هو قولهم: أرنا الله جهرة، وترك جمع منهم النهي عن المنكر، ونقل ثالث سؤال الرؤية.

ذلك، وقد أضل الله بهذه الرجفة والإحياء بعدها جمعاً من هؤلاء وهم الذين أصروا على الضلال بعد سؤال الرؤية ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[١] وهدى آخرين لم يسألوها أم سألوها وتابوا فلم يتخذوا العجل، أم ونهوا عن ذلك السؤال وما أشبه، والآخرون هم من المعنيين في ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾[٢].

هذا، وفي ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَّ﴾ من أدب السؤال ما لا قبل له لمكان ﴿لَوْ﴾ المحيلة تلك المشية غير الصالحة، فإن موسى عليه السلام لم يكن يستحق معهم الهلاك، ولكنه قد يترجاه حفاظاً على رسالته من الهلاك بتكذيب رفاق هؤلاء الهلكى، ثم ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ استبعاد لإهلاكه معهم إذ لم يكن يستحقه أبداً، ثم استعلام لإهلاك غير السائلين، التاركين للنهي عن المنكر، وقد أجاب عنه نفسه ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾.

وأخيراً يستسلم في دعائه لله قائلاً: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ لا سواك، فأنت تفعل بنا ما تشاء ولا تسأل عما تفعل وهم يسألون، وما ذلك السؤال العضال إلّا استعلاماً واسترحاماً، فإذ ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ لمن سأل ولمن سكت ﴿وَٱرْحَمْنَآ﴾ برحمتك ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾ عن الذنوب.

واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة إنا هدنا إليك.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾:

﴿حَسَنَةً﴾ فيها تعني حياة حسنة، ولماذا ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا﴾؟ لـ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾، وذلك لموسى عليه السلام وقومه، ثم ولنا ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[٣].

(١) سورة النساء، الآية: ١٥٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٠١.